مشاهد البعثة النبويّة الشريفة من خلال نهج البلاغة

الدكتور نادر الفضلي

تمهيد

نهج البلاغة: هو كتاب الحياة، كتاب الأخلاق، كتاب الإنسانية، كتاب الدين، كتاب العقيدة. وصدقاً ففي هذاالكتاب الشريف توجد الإجابة على كثير من التساؤلات، وحلولها العملية، وهو يلبي الكثير من الطلبات الفكرية والروحية في حياة الناس.

لقد لقّبوا «نهج البلاغة» بلقبٍ ممتاز: « وليد القرآن » وما أليقَهُ من لقبٍ!!

فكما أنّ القرآن هو دليل الحياة في الدنيا، ومرشد الإنسان إلى السعادة في الآخرة؛ فإنّ تعاليم نهج البلاغة كذلك تضمن فلاحنا في الدنيا و الآخرة.

وكما أنّ القرآن يؤمّن حاجات البشر إلى يوم القيامة؛ فنهج البلاغة كذلك يحتوي على تعاليم خالدة تؤمّن حاجاتٍ فكريّة وروحية للناس.

وكما أنّ القرآن أصبح بيننا ـ نحن المسلمين ـ غريباً مهجوراً وبعيداً؛ فوليد القرآن أصبح أكثر غربةً وهجراناً.

وكما أنّ من اللازم أن نتعرّف على القرآن وتعاليمه أكثر فأكثر؛ فكذلك من اللازم أن نتعرّف على نهج البلاغة ونطبّق تعاليمه الإلهيّة والسماويّة.

ونريد الآن أن نتقدّم إلى الأمام خطوةً فخطوة، ونتعرّف على نهج البلاغة أكثر ونستأنس به أكثر. نريد أن نجبُرَ تقصيرنا ونترك الثرثرة وندخل ميدان التطبيق.

ونريد هنا أن نتعلّم نهج البلاغة، ونتعرّف على فصول مختارةٍ من هذا الكتاب المعجب، ونطبّق تعاليمه الحيوية في حياتنا الفردية و علاقاتنا الاجتماعية.

ندعوكم إلى صُحبتنا على هذا الطريق المقدّس، معاً، سدّد الله خطواتكم في السير أبداً على طريق عليّ عليه السلام.

ونتعرّف هنا على موضوع مهمّ و شيّق، وهو بحث النبوّة الخاصّة يعني حوادث نبوّة سيّدنا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله و ثمار بعثته، و اعتمادنا أساساً على ما نستفيده من كلمات الإمام عليّ عليه السلام، ونسعى أن نقدّم صورةً واضحةً وهادفة من حادثة البعثة النبويّة المثيرة.

نقدّم (رواية البعثة الشريفة) في ستّة فصول، تحتوي على ثلاثين مشهداً، قال تعالىٰ: ﴿لَقَد جاءَكُم رَسُولٌ مِن أنفُسُكُم عَزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حَريصٌ عليكُم بِالمُؤمِنينَ رَؤفٌ رَحيمٌ﴾

إنّ الوقوف على الفترة الموحشة والسنوات السوداء للعالم في عصر البعثة النبوية، وسماع رواية من كان هو يعيش تلك الفترة ويستمدّ من العلم الإلهيّ، وسماع حديث البعثة المثير من لسانه، وهو ممّن حضر ونظر ذلك الحدث المثير والوحيد في التاريخ، لهو أمرٌ شيّق ولذيذ!.

ومعرفة الحوادث التي استتبعتها البعثة، وما جرى على يد الرسول والمسلمين الصادقين الأوائل من المواقف الرجولية، في ذلك العالم المضطرب حينذاك، وبلسان ذلك الراوي العظيم نفسه، أيضاً أمرٌ ملفت وشيّق.

فلنسمع حديث البعثة الشريفة من وريثها الإمام عليّ عليه السلام؛ كي تصبح معرفتنا

والتفاتنا إلى هذا الحدث العجيب وآثاره مصباحاً يضيءُ لنا في حياتنا في هذا العالم المضطرب الذي لا يعدو ذلك العصر المظلم.

الفصل الأوّل : العالم في عصر البعثة

المشهد الأوّل: الهرج و المرج العالمي

المشهد الثاني: سعة الضلال

المشهد الثالث: حكومة الشيطان

المشهد الرابع: زوال الدنيا

المشهد الخامس: من أيام العرب

المشهد الأوّل: الهرج و المرج العالمي

«أَرْسَلَهُ على حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ وَ اعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ وَ انْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ وَ تَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، وَ الدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، على حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَ إِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَ اغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَ ظَهَرَتْ أَعْلامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ وَ طَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَ شِعَارُهَا الْخَوْفُ وَ دِثَارُهَا السَّيْفُ[1].

المشهد الثاني: سعة الضلال

بَعَثَهُ وَ النَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَ حَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَ اسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاءُ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ وَبَلاءٍ مِنَ الْجَهْلِ[2].

---

(١) نهج البلاغة: ١٢١، الخطبة ٨٩؛ (اعتمدنا النص الذي حققه الدكتور صبحي الصالح، طبعة أولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٨٧ـ١٩٦٨).

(٢) نهج البلاغة: ١٤٠، الخطبة ٩٥.

وَ أَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَ طَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِه[1].

ابْتَعَثَهُ وَ النَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَ يَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، وَ اسْتَغْلَقَتْ على أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ[2].

المشهد الثالث: حكومة الشيطان:

النَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَ تَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، وَ اخْتَلَفَ النَّجْرُ وَ تَشَتَّتَ الأَمْرُ، وَ ضَاقَ الْمَخْرَجُ وَ عَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ وَ الْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ وَ نُصِرَ الشَّيْطَانُ وَ خُذِلَ الإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ وَ تَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ وَ دَرَسَتْ سُبُلُهُ وَ عَفَتْ شُرُكُهُ، أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَ وَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلامُهُ وَ قَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَ وَطِئَتْهُمْ بِأَظْلافِهَا وَ قَامَتْ على سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وَ شَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَ كُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَ جَاهِلُهَا مُكْرَمٌ[3].

المشهد الرابع: زوال الدنيا:

ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الانْقِطَاعُ، وَ أَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الاطِّلاعُ، وَ أَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَ قَامَتْ بِأَهْلِهَا على سَاقٍ، وَ خَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَ أَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَ اقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَ تَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَ انْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَ انْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَ عَفَاءٍ مِنْ أَعْلامِهَا وَ تَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَ قِصَرٍ مِنْ طُولِهَا[4].

---

(١) نهج البلاغة: ٤٤، الخطبة ١.

(٢) نهج البلاغة: ٢٨٣، الخطبة ١٩١.

(٣) نهج البلاغة: ٤٦، الخطبة ٢.

(٤) نهج البلاغة: ٣١٤، الخطبة ١٩٨.

المشهد الخامس: في أيّام العرب:

إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَ أَمِيناً على التَّنْزِيلِ، وَ أَنْتُمْ ـ مَعْشَرَ الْعَرَبِ ـ على شَرِّ دِينٍ وَ فِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَ حَيَّاتٍ صُمٍّ. تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَ تَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَ تَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ. الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَ الآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ[1].

فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَ لا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَ لا وَحْياً[2].

الفصل الثاني : حادثة البعثة

المشهد الأوّل: الرسول المختار من الله

المشهد الثاني: شاهد البعثة

المشهد الثالث: الشكّ والإنكار

المشهد الرابع: علامات النبوّة

المشهد الخامس: آية الإيمان

المشهد الأوّل: الرسول المختار من الله

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَ مِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وَ ذُؤَابَةِ الْعلياءِ، وَ سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَ مَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ. طَبِيبٌ دَوَّار بِطِبِّهِ قَد أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وأَحْمَىٰ مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ ذٰلِكَ حَيْثُ الحاجَة إِليهِ، مِن قُلُوبٍ عُمْيٍ وآذانٍ صُمٍّ وأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الغَفْلَةِ ومَوَاطِنَ الحَيْرَةِ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الحِكْمَةِ ولَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ العُلُومِ الثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالأَنْعَامِ السَائِمَةِ والصُخُورِ القَاسِيَةِ[3].

---

(١) نهج البلاغة: ٦٨، الخطبة ٢٦.

(٢) نهج البلاغة: ١٥٠، الخطبة ١٠٤.

(٣) نهج البلاغة: ١٥٦، الخطبة ١٠٨.

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ الله سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَ أَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَ انْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَ أُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَ بَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَ ثَمَرٌ لا يُنَالُ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَىٰ، وَ بَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَىٰ، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَ شِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَ زَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَ سُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَ كَلامُهُ الْفَصْلُ وَ حُكْمُهُ الْعَدْلُ(١).

المشهد الثاني: شاهد البعثة

وَ لَقَدْ قَرَنَ الله بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنَ أَخْلاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ، وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاقِهِ عَلَماً وَ يَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ، وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ؛ فَأَرَاهُ وَ لا يَرَاهُ غَيْرِي، وَ لَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلامِ غَيْرَ رَسُولِ الله ﷺ وَ خَدِيجَةَ وَ أَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَ الرِّسَالَةِ وَ أَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عليهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَىٰ مَا أَرَىٰ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَ لَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وَ إِنَّكَ لَعلىٰ خَيْرٍ(٢).

المشهد الثالث: الشكّ والإنكار

وَ لَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَ لا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَ نَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَ أَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَ رَسُولٌ، وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ ﷺ: وَ مَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ ﷺ:

---

(١) نهج البلاغة: ١٣٩، الخطبة ٩٤.

(٢) نهج البلاغة: ٣٠٠، الخطبة ١٩٢.

إِنَّ الله علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ الله لَكُمْ ذَلِكَ أَ تُؤْمِنُونَ؟ وَ تَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَ إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَ مَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ[1].

المشهد الرابع: علامات النبوّة

قَالَ ﷺ: يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ! إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِالله وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ تَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ الله؛ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ، بِإِذْنِ الله. فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَ جَاءَتْ، وَ لَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَ قَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ مُرَفْرِفَةً، وَ أَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعلى على رَسُولِ الله ﷺ وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا على مَنْكِبِي، وَ كُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ﷺ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا ـ عُلُوّاً وَ اسْتِكْبَاراً ـ: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَ يَبْقَىٰ نِصْفُهَا. فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ الله ﷺ. فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوّاً ـ: فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ. فَأَمَرَهُ ﷺ فَرَجَعَ[2].

المشهد الخامس: آية الإيمان

قال عليّ: فَقُلْتُ أَنَا: لا إِلَهَ إِلَّا الله، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ، يَا رَسُولَ الله، وَ أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ الله تَعَالَىٰ تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَ إِجْلالاً لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَ هَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا؟ ـ يَعْنُونَنِي ـ.

وَ إِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لا تَأْخُذُهُمْ فِي الله لَوْمَةُ لائِمٍ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ وَ كَلامُهُمْ كَلامُ الأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ وَ مَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ الله

---

(١) نهج البلاغة: ٣٠١، الخطبة ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة: ٣٠١، الخطبة ١٩٢.

وَ سُنَنَ رَسُولِهِ، لا يَسْتَكْبِرُونَ وَ لا يَعْلُونَ وَ لا يَغُلُّونَ وَ لا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وَ أَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ[1].

الفصل الثالث : صعوبات البعثة

المشهد الأوّل: الجهد في سبيل الهداية

المشهد الثاني: الجهاد في سبيل الله

المشهد الثالث: الصحابة الصادقون

المشهد الرابع: المقاومة والنصر

المشهد الخامس: نعمة الإسلام

المشهد الأوّل: الجهد في سبيل الهداية

وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَ قَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ، لا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ على تَكْذِيبِهِ وَ الْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِهِ[2].

وَ نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ الله كُلَّ غَمْرَةٍ، وَ تَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَ قَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنَوْنَ وَ تَأَلَّبَ عليه الأَقْصَوْنَ، وَ خَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وَ ضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَ أَسْحَقِ الْمَزَارِ[3].

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ وَ شَاهِداً عَلى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ، وَ لا مُقَصِّرٍ، وَ جَاهَدَ فِي الله أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ، وَ لا مُعَذِّرٍ، إِمَامُ مَنِ اتَّقَىٰ وَ بَصَرُ مَنِ اهْتَدَىٰ[4].

---

(١) نهج البلاغة: ٣٠٢، الخطبة ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة: ٢٨١، الخطبة ١٩٠.

(٣) نهج البلاغة: ٣٠٧، الخطبة ١٩٤.

(٤) نهج البلاغة: ١٧٣، الخطبة ١١٦.

المشهد الثاني: الجهاد في سبيل الله

وَ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَنَا وَ إِخْوَانَنَا وَ أَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلاَّ إِيمَاناً وَ تَسْلِيماً، وَ مُضِيّاً على اللَّقَمِ وَ صَبْراً على مَضَضِ الأَلَمِ وَ جِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَ لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَ الآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَ مَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا. فَلَمَّا رَأَىٰ الله صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ وَ أَنْزَلَ علينا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ وَ مُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ، وَ لَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَ لا اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ[1].

المشهد الثالث: الصحابة الصادقون

لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا أَرَىٰ أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً، وَ قَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَ قِيَاماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَ خُدُودِهِمْ وَ يَقِفُونَ على مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَىٰ مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ الله هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، وَ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ وَ رَجَاءً لِلثَّوَابِ[2].

أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلامِ فَقَبِلُوهُ وَ قَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَ هِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلادِهَا، وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَ صَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ وَ بَعْضٌ نَجَا، لا يُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ وَلا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَىٰ، مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، على وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ، أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَ نَعَضَّ الأَيْدِي على فِرَاقِهِمْ[3].

---

(١) نهج البلاغة: ٩١، الخطبة ٥٦.

(٢) نهج البلاغة: ١٤٣، الخطبة ٩٧.

(٣) نهج البلاغة: ١٧٧، الخطبة ١٢١.

المشهد الرابع: المقاومة والنصر

قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وَ ثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ الله بِهِ الضَّغَائِنَ، وَ أَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً وَ فَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ وَ أَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلامُهُ بَيَانٌ وَ صَمْتُهُ لِسَانٌ[1].

وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَ أَمِينُهُ الرَّضِيُّ ﷺ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ وَ ظُهُورِ الْفَلَجِ وَ إِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وَ حَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاً عليها، وَأَقَامَ أَعْلامَ الاهْتِدَاءِ وَ مَنَارَ الضِّيَاءِ، وَ جَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلامِ مَتِينَةً وَ عُرَى الإِيمَانِ وَثِيقَةً[2].

جَعَلَهُ الله بَلاغاً لِرِسَالَتِهِ، وَ كَرَامَةً لأُمَّتِهِ، وَ رَبِيعاً لأَهْلِ زَمَانِهِ وَ رِفْعَةً لأَعْوَانِهِ، وَشَرَفاً لأَنْصَارِهِ[3].

المشهد الخامس: نعمة الإسلام

الْحَمْدُ لله الَّذِي شَرَعَ الإِسْلامَ، فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ على مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ وَ سِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَ بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَ شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ وَ نُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَ فَهْماً لِمَنْ عَقَلَ وَ لُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَ تَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ وَ عِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَ ثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَ رَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ وَ جُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَ أَوْضَحُ الْوَلائِجِ، مُشْرَفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِّ مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ كَرِيمُ الْمِضْمَارِ رَفِيعُ الْغَايَةِ جَامِعُ الْحَلْبَةِ مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ شَرِيفُ الْفُرْسَانِ، التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ وَ الصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ وَ الْمَوْتُ غَايَتُهُ وَ الدُّنْيَا مِضْمَارُهُ وَ الْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ وَ الْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ[4].

---

(١) نهج البلاغة: ١٤١، الخطبة ٩٦.

(٢) نهج البلاغة: ٢٦٩، الخطبة ١٨٥.

(٣) نهج البلاغة: ٣١٥، الخطبة ١٩٨.

(٤) نهج البلاغة: ١٥٣، الخطبة ١٠٦.

الفصل الرابع: ثمار البعثة

المشهد الأوّل: البيّنة الخالدة

المشهد الثاني: الطلعة الأبدية

المشهد الثالث: نهاية الرسالة

المشهد الرابع: التأسّي بالرسول

المشهد الخامس: وديعة النبوّة

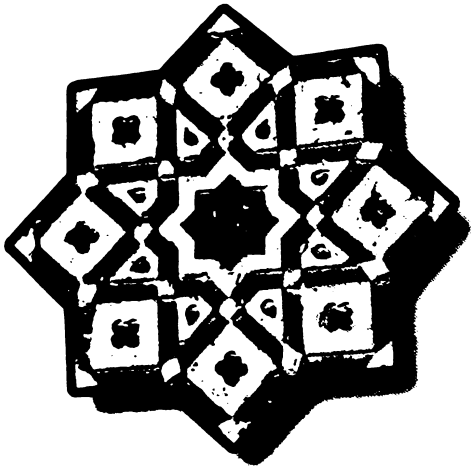

المشهد الأوّل: البيّنة الخالدة

ثُمَّ أَنْزَلَ عليه الْكِتَابَ، نُوراً لا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَ سِرَاجاً لا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وَ بَحْراً لايُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَ مِنْهَاجاً لا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَ شُعَاعاً لا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وَ فُرْقَاناً لا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَ تِبْيَاناً لا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَ شِفَاءً لا تُخْشَىٰ أَسْقَامُهُ، وَ عِزّاً لا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَ حَقّاً لا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ، فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمَانِ وَ بُحْبُوحَتُهُ، وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ، وَ رِيَاضُ الْعَدْلِ وَ غُدْرَانُهُ، وَ أَثَافِيُّ الإِسْلامِ وَ بُنْيَانُهُ، وَ أَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَ غِيطَانُهُ، وَ بَحْرٌ لا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَ عُيُونٌ لا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، وَ مَنَاهِلُ لا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، وَ مَنَازِلُ لايَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَ أَعْلامٌ لا يَعْمَىٰ عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَ آكَامٌ لا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ، جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَ رَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَ مَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَ دَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَ نُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَ حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَ مَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَ عِزّاً لِمَنْ تَوَلاَّهُ، وَ سِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَ هُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَ عُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَ بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَ شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَ فَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ، وَ مَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَ جُنَّةً لِمَنِ اسْتَلأَمَ، وَ عِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ، وَ حَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ، وَ حُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ[1].

---

[1] نهج البلاغة: ٣١٥، الخطبة ١٩٨.

المشهد الثاني: الطلعة الأبدية

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الإِسْلامَ دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَ اصْطَنَعَهُ على عَيْنِهِ وَ أَصْفَاهُ خِيرَةَ خَلْقِهِ، وَ أَقَامَ دَعَائِمَهُ على مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَ وَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَ أَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَ خَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ، وَ هَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلالَةِ بِرُكْنِهِ، وَ سَقَىٰ مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَ أَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ لا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَ لا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ وَ لا انْهِدَامَ لأَسَاسِهِ وَ لا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ وَ لا انْقِلاعَ لِشَجَرَتِهِ وَ لا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ وَ لا جَذَّ لِفُرُوعِهِ وَ لا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ وَ لا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلاسَوَادَ لِوَضَحِهِ وَ لا عِوَجَ لانْتِصَابِهِ وَ لا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَ لا وَعَثَ لِفَجِّهِ وَ لا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ وَ لا مَرَارَةَ لِحَلاوَتِهِ، فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَ ثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا، وَ يَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا، وَ مَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَ مَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا، وَأَعْلامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَ مَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا. جَعَلَ اللهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ وَ ذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَ سَنَامَ طَاعَتِهِ، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ وَثِيقُ الأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ مُنِيرُ الْبُرْهَانِ مُضِيءُ النِّيرَانِ عَزِيزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعْوِذُ الْمَثَارِ، فَشَرِّفُوهُ وَ اتَّبِعُوهُ وَ أَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَ ضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ[1].

المشهد الثالث: انتهاء عصر الرسول

اللهم اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ على مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ الْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَ الْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَ الدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ وَ الدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَ لا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ مَاضِياً على نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَىٰ قَبَسَ الْقَابِسِ وَ أَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَ هُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَ الآثَامِ، وَ أَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلامِ وَ نَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ

---

(١) نهج البلاغة: ٣١٣، الخطبة ١٩٨.

الْمَأْمُونُ وَ خَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَ رَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ[1].

المشهد الرابع: التأسّي بالرسول

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ ﷺ؛ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَ الْمُقْتَصُّ لأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً وَ لَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وَ أَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عليه الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَ عَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَ حَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ وَ صَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ تَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ وَ رَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً للهِ وَ مُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَ لَقَدْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ على الأَرْضِ وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَ يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَ يَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَ يُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَ يَكُونُ السِّتْرُ على بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فُلانَةُ ـ لإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي؛ فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَ زَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَ لا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَ لا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ وَ أَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وَ غَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَ كَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَ أَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ، وَ لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَدُلُّكَ على مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وَ زُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ؛ فَقَدْ كَذَبَ وَاللهِ الْعَظِيمِ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ. وَ إِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَ اقْتَصَّ أَثَرَهُ وَ وَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَ إِلَّا فَلا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَ مُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَ مُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ،

---

[1] نهج البلاغة: ١٠١، الخطبة ٧٢.

خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَ وَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً على حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَ أَجَابَ دَاعِيَ رَبِّه. فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِيْنَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ(١).

المشهد الخامس: وديعة النبوّة

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَ لَجَأُ أَمْرِهِ وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَ مَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَ كُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ(٢).

لا يُقَاسُ بآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَ لا يُسَوَّىٰ بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عليهِ أَبَداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ، وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَ الْوِرَاثَةُ، الآنَ، إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَ نُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ(٣).

الفصل الخامس: ما بعد البعثة

المشهد الأوّل: عروجُ النور

المشهد الثاني: الردّة إلى الجاهلية

المشهد الثالث: الفتنة العمياء

المشهد الرابع: حماية وحراسة

المشهد الخامس: الأُمّة الجاحدة للمعروف

المشهد الأوّل: عروجُ النور

وَ لَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعلى صَدْرِي، وَ لَقَدْ سَالَتْ نَفسهُ فِي كَفِّي،

---

(١) نهج البلاغة: ٢٢٧ ـ ٢٢٩، الخطبة ١٦٠.

(٢) نهج البلاغة: ٤٧، الخطبة ٢.

(٣) نهج البلاغة: ٤٧، الخطبة ٢.

فَأَمْرَرْتُهَا على وَجْهِي، وَ لَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ﷺ وَ الْمَلائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَ الأَفْنِيَةُ، مَلأٌ يَهْبِطُ وَ مَلأٌ يَعْرُجُ، وَ مَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عليهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَ مَيِّتاً؟[1].

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ وَ إِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عليكَ، وَ إِنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ وَ إِنَّهُ قَبْلَكَ وَ بَعْدَكَ لَجَلَلٌ[2].

المشهد الثاني: الردّة إلى الجاهلية

حَتَّى إِذَا قَبَضَ الله رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ على الأَعْقَابِ، وَ غَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَ اتَّكَلُوا على الْوَلائِجِ، وَ وَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَ هَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَ نَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَ أَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَ ذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ على سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ[3].

المشهد الثالث: الفتنة العمياء

أَمَا وَ الله لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَ لا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَ طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَ طَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ على طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَ يَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَ يَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ على هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَ فِي الْعَيْنِ قَذًى وَ فِي الْحَلْقِ شَجًى أَرَى تُرَاثِي نَهْباً[4].

---

(١) نهج البلاغة: ٣١١، الخطبة ١٩٧.
(٢) نهج البلاغة: ٥٢٧، الحكمة ٢٩٢.
(٣) نهج البلاغة: ٢٠٩، الخطبة ١٥٠.
(٤) نهج البلاغة: ٤٨، الخطبة ٣.

المشهد الرابع: حماية وحراسة

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَ مُهَيْمِناً على الْمُرْسَلِينَ، فَلَمَّا مَضَىٰ عليه السلام تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَالله مَا كَانَ يُلْقَىٰ فِي رَوعِي وَ لا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَ لا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ على فُلانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلامَ وَ أَهْلَهُ: أَنْ أَرَىٰ فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عليَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ حَتَّىٰ زَاحَ الْبَاطِلُ وَ زَهَقَ، وَ اطْمَأَنَّ الدِّينُ وَ تَنَهْنَهَ[1].

المشهد الخامس: الأُمّة الجاحدة للمعروف

قالَ عليعليه السلام عِندَ دَفنِ سيدَة النِّساءِ فاطِمَةعليها السلام، كَالمُناجي به رَسُولَ الله ﷺ عِندَ قَبرِه: السَّلامُ عليكَ يا رَسُولَ الله، عَنّي وَ عَنِ ابنَتِكَ النّازِلَة في جِوارِكَ وَ السَّريعَة اللِّحاقِ بِكَ، قَلَّ يا رَسُولَ الله عَن صَفيّتِكَ صَبري، وَ رَقَّ عَنها تَجَلُّدي، إلّا أنَّ فِي التَّأسّي لي بِعَظيم فُرقَتِكَ وَ فادِحِ مُصيبَتِكَ مَوضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَد وَسَّدتُكَ في مَلحُودَة قَبرِكَ وَ فاضَت بَينَ نَحري وَ صَدري نَفسُكَ، فَإنّا للهِ وَ إنّا إلَيه راجِعُونَ، فَلَقَدِ استُرجِعَتِ الوَديعَة، وَ اُخِذَتِ الرّهينَة، أمّا حُزني فَسَرمَدٌ، وَ أمّا لَيْلِي فَمُسَهدٌ، إلى أن يختارَ اللهُ لي دارَكَ الّتي أنتَ بها مُقيمٌ، وَ سَتُنَبِّئُكَ ابنَتُكَ بِتَضافُرِ اُمَّتِكَ على هضمِها، فَأحْفِها السُّؤالَ وَ استَخبِرها الحالَ، هذا، وَ لَم يطُلِ العَهدُ، وَ لَم يخلُ مِنكَ الذِّكرُ، وَ السَّلامُ عليكُما سَلامَ مَوَدِّعٍ لا قالٍ وَ لا سَئِمٍ، فَإن أنصَرِفْ فَلا عَن مَلالَة، وَ إن أقُم فَلا عَن سُوءِ ظَنٍّ بِما وَعَدَ الله الصّابِرين[2].

---

(١) نهج البلاغة: ٤٥١، الكتاب ٦٢.

(٢) نهج البلاغة: ٣١٩، الخطبة ٢٠٢.

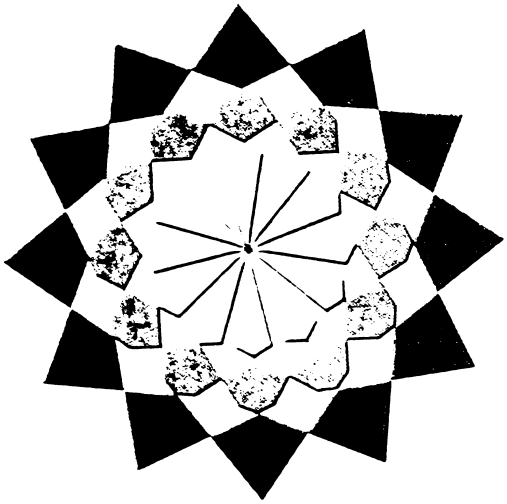

المشهد الأوّل: التاريخ يعيد نفسه

المشهد الثاني: فتنة آخر الزّمان

المشهد الثالث: طريق الفلاح

المشهد الرابع : الحجّة الخالدة

المشهد الخامس: طلائع الأمل

المشهد الأوّل: التاريخ يعيد نفسه

فَاعتَبِروا عِبادَ الله، وَ اذكُروا تيكَ الّتي آباؤُكم وَ إخوانُكُم بِها مُرتَهنُونَ، وَ عليها مُحاسَبونَ، ولَعَمْرِي ما تَقادَمَتْ بِكُمْ ولا بِهِم العُهُودُ، وَ لا خَلَتْ في ما بَينَكُم وَبَينَهمُ الأحقابُ وَ القُرونُ، وَ ما أنتُمُ اليومَ مِن يومٍ كُنتُم في أصلابِهم بِبَعيدٍ، وَ الله ما أسمَعَهمُ الرَّسولُ شَيئاً إلّا وَ ها أنا ذَا اليومَ مُسمِعكُمُوه، وَ ما أسماعُكُمُ اليومَ بِدوُنِ أسماعِهم بِالأمسِ، وَ لا شُقَّت لَهمُ الأَبصارُ وَ لا جُعِلَت لَهمُ الأفئِدَة في ذلِكَ الزَّمانِ إلّا وَ قَد أُعطيتُم مِثلَها في هذا الزَّمانِ، وَ وَالله ما بَصُرتُم بَعدَهم شَيئاً جَهلوه، وَ لا أُصفيتُم بِه وَحُرِمُوه، وَ لَقَد نَزَلَت بِكُمُ البَلِية جائِلاً خِطامُها، رِخواً بِطانُها، فَلا يغُرَّنَّكُم ما أصبَحَ فِيه أهلُ الغُرورِ، فَإنَّما هوَ ظِلٌّ مَمدودٌ، إلى أجَلٍ مَعدودٌ[1].

المشهد الثاني: فتنة آخر الزّمان

إنَّه سَيأتي عليكُم مِن بَعدي زَمانٌ لَيسَ فِيه شَيءٌ أخفىٰ مِنَ الحَقِّ وَ لا أظهرَ مِنَ الباطِلِ، وَ لا أكثَرَ مِنَ الكَذبِ على اللهِ وَ رَسُولِه، وَ لَيسَ عِندَ أهلِ ذلِكَ الزَّمانِ سِلعَة أبوَرَ مِنَ الكتاب إذا تُلِي حَقَّ تِلاوَتِه، وَ لا أنفَقَ مِنه إذا حُرِّفَ عَن مَواضِعِه، وَ لا فِي البِلادِ شَيءٌ أنكَرَ مِنَ المَعروف، وَ لا أعرَفَ مِنَ المُنكَرِ، فَقَد نَبَذَ الكتابَ حَمَلَتُه وَتَناساه حَفَظَتُه، فَالكتاب وأهْلُهُ يومَئِذٍ طَريدانِ، مَنفِيّانِ، وَ صاحِبانِ مُصطَحِبان فِي

---

[1] نهج البلاغة: ١٢٢، الخطبة ٨٩.

طَريقٍ واحِدٍ، لا يؤويهما مُؤوٍ؛ فَالكِتابُ وَ أهلُه في ذلِكَ الزَّمانِ فِي النّاسِ وَ لَيسا فِيهم، وَ مَعَهم وَ لَيسا مَعَهم، لأنَّ الضَّلالَة لا تُوافِقُ الهدىٰ، وَ إنِ اجتَمَعا فَاجتَمَعَ القَومُ على الفُرقَة وَ افتَرَقوا على الجَماعَة، كَأنَّهم أئمَّةُ الكتاب وَ لَيسَ الكتابُ إمامَهم، فَلَم يبقَ عِندَهم مِنه إلاَّ اسمُه، وَ لا يعرِفُونَ إلَّا خَطَّه وَ زُبَرَه، وَ مِن قَبلُ ما مَثَّلوا بِالصّالِحينَ كُلَّ مُثلَةٍ، وَ سَمّوا صِدقَهم على الله فِريةً، وَ جَعَلوا فِي الحَسَنَة عُقُوبَة السَّيِّئة[1].

المشهد الثالث: طريق الفلاح

فَأينَ تَذهبُونَ؟ وَ أنّىٰ تُؤفَكُونَ؟ وَ الأعلامُ قائِمَة وَ الآياتُ واضِحَة، وَ المَنارُ مَنصُوبَة، فَأينَ يُتاه بِكُم؟ بَل كَيفَ تَعمَهونَ؟ وَ بَينَكُم عِترَة نَبِيّكُم وَ هم أزِمَّة الحَقِّ وَأعلامُ الدّينِ وَ أَلسِنَة الصِّدقِ، فَأَنزِلُوهم بِأَحسَنِ مَنازِلِ القُرآنِ وَ رِدوُهم وُرودَ الهيمِ العِطاشِ.

أيّها النّاس! خُذُوها عَن خاتَمِ النَّبيينَ ﷺ: إنَّه يموتُ مَن ماتَ مِنّا وَ لَيسَ بِمَيتٍ، وَ يَبْلَىٰ مَن بَلِيَ مِنّا وَ لَيسَ بِبالٍ، فَلا تَقُولوا بِما لا تَعرِفُونَ، فَإنَّ أكثَرَ الحَقِّ فِيما تُنكِرونَ، وَ أعذِروا مَن لا حُجَّة لَكُم عليه، وَ أنَا هوَ!

أَلَم اَعمَل فِيكُم بِالثِّقلِ الأكبَرِ؟ وَ أَترُك فِيكُم الثِّقَلَ الأصغَرَ؟ وَرَكَزتُ فِيكُم راية الإيمانِ؟ وَ وَقَفتُكُم على حُدُودِ الحَلالِ وَالحَرامِ، وَ ألبَستُكُمُ العافِية مِن عَدلي وَ فَرَشتُكُمُ المَعروفَ مِن قَولي وَفِعلي، وَأَرَيتُكُم كَرائِمَ الأخلاقِ مِن نَفسي، فَلا تَستَعمِلوا الرّأي في ما لا يُدرِكُ قَعرَه البَصَرُ وَ لا يتَغَلغَلُ إلَيه الفِكَرُ[2].

المشهد الرابع: الحجّة الخالدة

اللّهمَّ بَلى! لا تَخلُو الأرضُ مِن قائِمٍ للهِ بِحُجَّة، إمّا ظاهراً مَشهوراً، وَ إمّا خائِفاً مَغمُوراً؛ لِئلاّ تَبطُلَ حُجَجُ اللهِ وَ بَيِّناتُه، و كَم ذا؟ وَ أينَ؟

---

(١) نهج البلاغة: ٢٠٤، الخطبة ١٤٧.

(٢) نهج البلاغة: ١١٩، الخطبة ٨٧.

أُولئِكَ ـ وَاللهِ ـ الأقلّونَ عَدَداً، وَالأعظَمونَ عِندَ اللهِ قَدراً، يحفَظُ الله بهم حُجَجَه وَ بَيّناتِه، حَتّىٰ يُودِعُوها نُظَراءَهم وَ يزرَعُوها في قُلُوبِ أشباهِهِم، هجَمَ بِهِم العِلمُ على حَقيقَةِ البَصيرة، وَ باشَروا رُوْحَ اليقينِ، وَاستَلانوا مَا استَوعَرَه المُترَفُونَ، وَ أنِسُوا بِمَا استَوحَشَ مِنه الجاهلُونَ، وَ صَحِبُوا الدُّنيا بِأبْدانٍ أرواحُها مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأعلىٰ، أُولئِكَ خُلَفاءُ اللهِ في أرضِه، وَ الدُّعاة إلى دينِه، آهٍ آه شَوقاً إلى رُؤيتِهم[1].

المشهد الخامس: طلائع الأمل

فَلَبِثتُم بَعدَه ما شاءَ الله حَتّىٰ يطلِعَ اللهُ لَكُم مَن يجمَعَكُم وَ يضُمَّ نَشرَكُم، فَلاتَطمَعُوا في غَير مُقبِلٍ، وَ لا تَيأسُوا مِن مُدبِرٍ، فَإنَّ المُدبِرَ عَسى أن تَزِلَّ بِهِ إحدى قائِمَتيهِ وَ تَثبُتَ الأُخرىٰ فَتَرجِعا حَتّى تَثبتا جَميعاً. ألا إنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّماءِ، إذا خوى نَجمٌ، طَلَعَ نَجمٌ، فَكَأنَّكُم قَد تَكامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُم الصَّنائِعُ، وَ أراكُم ما كُنتُم تَأمُلونَ[2].

لَتَعطِفَنَّ الدُّنيا علينا بَعدَ شِماسِها عَطفَ الضَّروسِ على وَلَدِها، ـ وَ تَلا عَقيبَ ذلِكَ ـ: ﴿**وَ نُريدُ أن نَمُنَّ على الّذينَ استُضعِفُوا فِي الأرضِ وَ نَجعَلَهم أئِمَّة وَنَجعَلَهمُ الوارِثينَ**﴾[3].

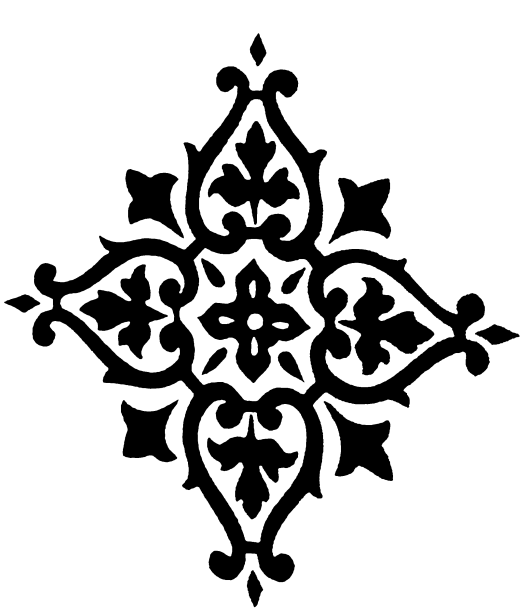

(1) نهج البلاغة: ٤٩٧، الحكمة ١٤٧.

(2) نهج البلاغة: ١٤٦، الخطبة ١٠٠.

(3) نهج البلاغة: ٥٠٦، الحكمة ٢٠٩.